تعرض هذه المفاهيم بطريقتها العقلية الجافة ، فلا (يعقلها) إلا النخبة من الناس ، أقول يعقلها ولاأقول يؤمن بها ، لأن الإيمان استجابة كيانية كاملة من العقل والوجدان ، بينما للدين أسلوب أخر في توصيل دعوته إلى العقول والقلوب معاً. فحين يقول الله – سبحانه وتعالى – لعباده : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يُقاتلون في سبيل الله ، فيَقتلون ويُقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به،وذلك هو الفوز العظيم ﴾ ١١١ التوبة .

فهل يملك الكيان البشري أن يتعامل مع هذا النص بعقله فقط ؟ وهل يملك إلا أن يستجيب للوعد الإلهي الحق ، فيهب نفسه مختاراً طائعاً ، بل لايملك إلا أن يلقي التمرتين اللتين في يده طمعاً بما هو أخلد وأبقى !!

هذه هي الطريقة القرآنية في مخاطبة البشر ، لا تصدر أوامر ، أوتخط موادّ دستورية صارمة ، بل تأمر وتنهىٰ ، بما يجعل هذا الأمر والنهي مستجاباً له بالرضا والطاعة . لم يقل الله – سبحانه وتعالى ﴿ ولايغتب بعضكم بعضاً ﴾ ، وكفى ، بل عقّب عليه بقوله : ﴿ أيحبُّ أحدُكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ، فكرهتموه﴾ ٢٢ الحجرات .

وهو مايستثير كراهة النفس واشمئزازها من هذا المنظر الذي يصبح فيها الإنسان آكل (فطائس),وليس بعد هذا أدعى من النفور من هذه الغيبة التي يحرمها الإسلام .

والعنصر المميز لاهتمام الإسلام بالجانب العاطفي ، هو أنه لايُعنى بالعاطفة لذاتها، ولابالعواطف الطافية على السطح ، أو الشاخصة في الهواء ، بل يُعنى بالعاطفة المرتكزة على أساس فكري ، أو منبثقة من قاعدة فكرية(٣). وحين تكون العاطفة كذلك فسوف تكون عاطفة راشدة منطلقة من إنسان راشد ، وليست عاطفة جامحة لاتعرف الحدود ، ولاتخضع للضوابط ، والعاطفة الجامحة من هذا النوع